الحلقة الرابعة عشرة

صلاة القيام

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فمن خصوصيات شهر رمضان المبارك ، ومن الأمور التي تميز بها وصارت لصيقة به ، صلاة القيام المعروفة لدي المسلمين بصلاة التراويح ، وهذه الصلاة لا تقام إلا في هذا الشهر ، ولا يؤديها المسلمون في شهر سواه ، وتلك خصوصية انفرد بها شهر الصوم المبارك ، وصلاة القيام هذه التي تميز بها هذا الشهر ، شرعت في المدينة المنورة وفي السنة الثانية من الهجرة المحمدية ، وكانت مشروعيتها بعد أن فرض الله الصوم علي المسلمين ، وتسمي هذه الصلاة بصلاة القيام ، لأن الأولى والأفضل أن تصلي من قيام عند قدرة الإنسان علي ذلك، فإذا أداها وهو جالس مع قدرته علي القيام ، فإنه يكون مخالفا للأفضل ، وغير محصل للأولى . تلك هي سبب تسمية هذه الصلاة بصلاة القيام ، وهذه هي العلة في تلك التسمية وتسمي هذه الصلاة أيضا بصلاة التراويح ، وعلة تسميتها بهذا الاسم ، أن المصلين لها كانوا يتروحون فيها ، بمعني أنهم كانوا يجلسون للاستراحة بعد كل أربع ركعات منها ، وهنا يرد سؤال وهو : هل الأفضل أن تؤدي هذه الصلاة في المسجد أم في البيت ؟ ونحن إذا نظرنا إلى أنها صلاة شرعت فيها الجماعة فأداؤها في المسجد أفضل ، والسادة المالكية قالوا في هذا الشأن ، يستحب أن تصلي في البيت ولو كانت في جماعة ، سواء أكانت هذه الجماعة أهل منزله أم كانت غيرهم ، ووجهة النظر عندهم فيما قرروه ، أنها إذا صليت في البيت كانت أبعد عن الرياء ، ولا تكون

فيها مظنة السمعة والشهرة بين الناس ، ولكنهم مع هذا قالوا : إن هذه الأفضلية مقيدة بأمور : أما الأمر الأول : فهو عدم تكاسل الإنسان عن أدائها في بيته ، فإذا كان سيتكاسل فالمسجد أفضل ، وأما الآمر الثاني : فهو ألا يكون بأحد الحرمين الشريفين بمكة أو المدينة ، وهو ليس من أهل هذين البلدين، فإذا كان المسلم هناك في شهر رمضان فالأفضل أن يؤدي صلاة القيام في أحد هذين المسجدين الشريفين مسجد الحرم المكي أو مسجد الحرم المدني ، لأن الصلاة فيهما تعادل صلوات كثيرة ، والأجر المترتب علي ذلك كبير ، وأما الأمر الثالث : ألا يلزم من صلاتها في المنازل تعطيل صلاتها في المساجد ، فإذا كان الأمر كذلك بأن يترتب علي أدائها في البيوت خلو المساجد وتعطيل هذه الصلاة ، فإنه يلزم أن تكون حينئذ في المساجد، وعلي كل حال ، فإن تعمير المساجد وتواجد الناس فيها لأداء الصلاة وغيرها من الصلوات لأمر عظيم ومظهر كريم واجتماع طيب ، يدل علي الاهتمام بهذه الصلاة التي قال عنها وفيها رسول الله صلي الله عليه وسلم :

- من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه. (أحمد).

فصلاة القيام ذات منزلة عالية ، وثوابها عظيم وأجرها جزيل ، وحكم هذه الصلاة الندب الأكيد ، وقد كان الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - يخرج من بيته ليصلي صلاة التراويح إماما بالمسلمين في المسجد ، ولكنه لم يداوم علي صلاته معهم ، خشية أن تفرض عليهم، وهذا إن دل علي شيء فإنما يدل علي شدة رأفة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ (التوبة : ١٢٨).

وهذه الصلاة إما أن تكون ثماني ركعات مضافا إليها ركعتان للشفع وركعة للوتر ، وإما أن تكون ثلاث عشرة ركعة بالشفع والوتر ، وكان هناك اهتمام كبير من جانب المسلمين آنذاك بأداء هذه الصلاة ، وكان يسمع لهم أزيز كأزيز النحل ، وكانت هذه الصلاة تؤدي بطريقة فيها

تؤدة وتطويل للقراءة فيها، وتختلف كل الاختلاف عن صلاتنا في زماننا الحاضر ، عصر السرعة المذهلة .. إن أداء المسلمين الأول لهذه الصلاة وغيرها من صلوات ، لم تكن حركات بهلوانية ، ولا ذات أداء مخل بها ، وإنما كانوا يؤدونها كما يجب أن يكون الأداء طمأنينة وكمالا ، وإخلاصا وصفاء ، وخشية وخشوعا وحضور قلب ، وقربا من الله ، ومثل هذه الصلاة التي تؤدي بمثل هذه الكيفية الكاملة ، هي صلاة ذات روح ، فيها حياة ووراءها اجر ، ولها نور ويرجي منها الخير ، وقد صلي عمر بن الخطاب رضي الله عنه التراويح عشرين ركعة عدا الشفع والوتر ولا غبار علي هذا التصرف ، والرسول - صلوات الله وسلامه عليه - قال :

- عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ.

وفي عهد عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - ، كانت صلاة التراويح ستا وثلاثين ركعة ولعل هذا التصرف منه كان مبعثه مساواة أهل مكة في الأجر والثواب ، حيث إنهم كانوا يطوفون بالكعبة مرة بعد كل أربع ركعات من الصلاة ، فرأي الخليفة أن يرتفع هذا الرقم إلى ست وثلاثين ركعة ، بحيث يكون مقابل كل طواف أربع ركعات ، وهكذا كان هناك حرص شديد علي التقرب إلى الله بالعبادة ، وكان هناك صبر عظيم وجلد كبير علي أداء الطاعة لله رب العالمين ، وكيفية صلاة التراويح أن تصلي ركعتين ركعتين ، بمعني أن يصلي المسلم ركعتين ويتشهد ثم بعد ذلك يسلم وهكذا يسير علي هذه الطريقة وبتلك الكيفية حتى ينتهي من الصلاة .

أيها الإخوة والأخوات : إن شهر رمضان شهر المكاسب ، وهو ملئ بالنفحات والثواب العظيم من الله ، وصلاة التراويح التي انفرد بها هذا الشهر العظيم هي سنة من سنن رسول الله - صلي الله عليه سلم - وفعلنا لها إنما هو اقتداء بالرسول العظيم ، وهو خير قدوة ، وصدق رب العزة حيث قال :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ (الأحزاب : ٢١) .

وإنه لمن الواجب علينا ألا نهمل صلاة التراويح ، وأن نؤدي كل عمل بإتقان ودقة ، سواء كان هذا العمل فرضا أو سنة ، وبذلك الأداء المقرون بصفاء النية ، والمنزه عن الشوائب والأدناس ، وبالإخلاص لله فيما نؤدي ، يكون الفوز والثواب الجزيل من الله ، وتكون الحياة الأخروية الهانئة السعيدة ، المحفوفة بالرضا الإلهي ، مصداق ذلك قول رب العزة - جل شأنه - :

﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ (النحل : ٩٧).

إنه لجزاء عظيم من رب عظيم ، وإنه لكرم كبير من رب كريم ، وإنا لنسأل ربنا - جل شأنه - أن يجعلنا من الصائمين القانتين ، الذين يؤدون الفرائض والسنن دون تقصير ، كما نسأله - سبحانه - أن يتقبل أعمالنا ، ويكرمنا بكرمه العظيم ، اللهم آمين .